العـــودة

قصة الشهيد السيد عبد اللطيف الأمين رضوان الله تعالى عليه

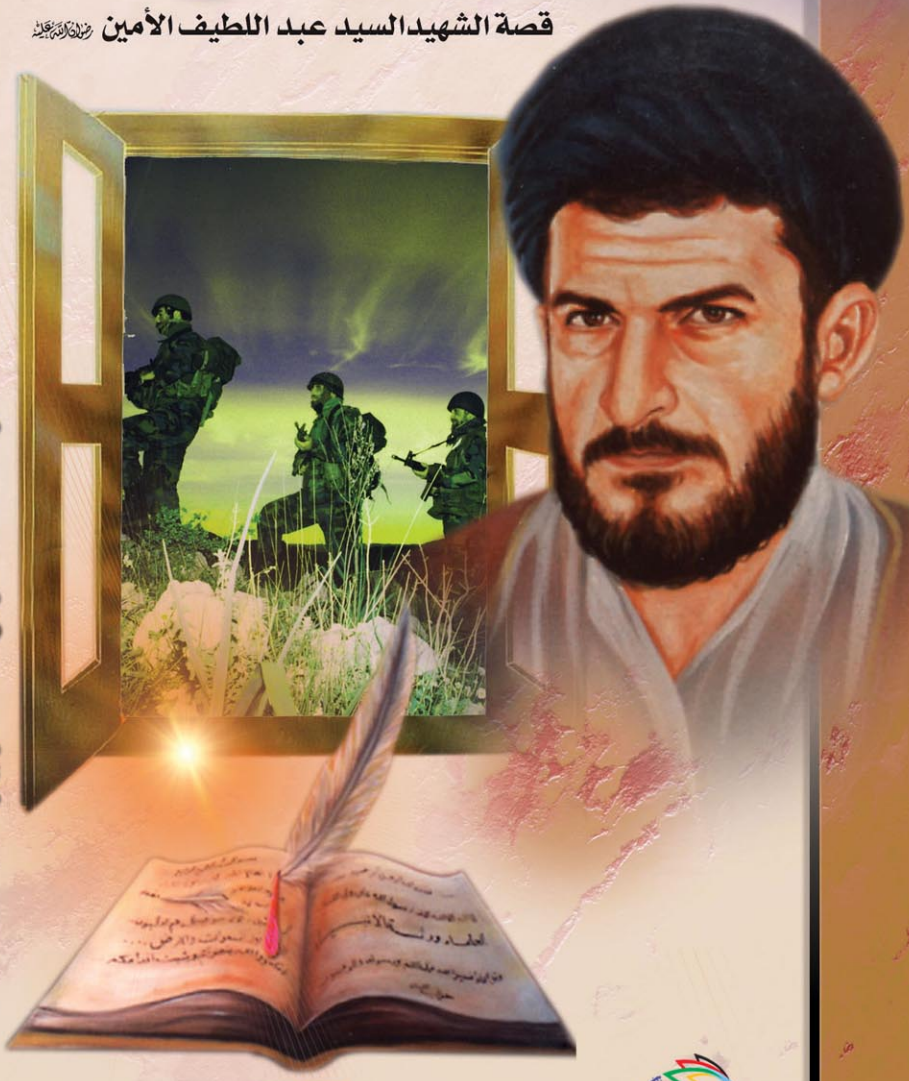

أمراء النصر والتحرير

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION

العـــودة

قصة الشهيد السيد عبد اللطيف الأمين رضي الله عنه

الكاتبة: راغدة محمد المصري

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

جمعية المعارف الاسلامية الثقافية

بيروت . لبنان . المعمورة . الشارع العام
هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠ ـ ص.ب. ٢٤/٥٣ . ٢٥/٣٢٧

- **قصة الشهيد:** السيد عبد اللطيف الأمين (رضوان الله عليه).
- **العنـــــوان:** العـــــودة.
- **الكـــــاتـبة:** راغدة محمد المصري.
- من النصوص المشاركة في مسابقة «العلماء الشهداء» التي نظمتها الوحدة الثقافية المركزية في حزب اللّه ورعتها مؤسسة الشهيد في لبنان.
- **الناشـر:** جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.
- **الطبعة:** الاولى حزيران ٢٠٠٣م ـ ربيع الآخر١٤٢٤هـ.

الإهداء

إلى كل ثائر حر

إلى كل عالم مناضل

إلى كل مقاوم

وإلى ولدي ليسير على دربهم.

شوق وحنين

أحس ببرودة النّسمات تلفح وجهه، وفي الوقت نفسه أحس بالحرارة تغلي في قلبه...فها هو يقف على مشارف عاملة تختلج في أعماقه مشاعر متناقضة: شعور بالفرحة، فرحة العودة، وشعور بالقوة، قوة العقيدة، والإيمان بالواجب، و الشعور بالحزن على الجزء المكبل بالقيود الصهيونية.

وعندما وصل إلى مسقط رأسه أخذت عيناه تتفقدان جميع الأشياء، هل هي على حالها كما نقشت في مخيلته ورآها آخر مرة؟ وقال لأبنائه: «ها هي شقرا يا أولاد... هنا أبصر النور والدكم».

نزل من السيارة، انحنى على الأرض، وحمل قبضة من ترابها، يقبلها ويشمها ويتمتم بكلمات غير واضحة كأنه يسرّ إليها كلاما يخصّها وحدها...

استقبله بعض الأقارب مع رجال من القرية، بالفرحة والبهجة، وكان من بينهم رجل متوسط السن أراد أن يشارك السيد بحديثه، يدعى حيدر فقال لأبناء السيد: «هذه الأرض التي ولد عليها واحتضنته وهو في المهد، وانتمى إليها بروحه وعقله وكل وجدانه».

ويتابع حيدر بكل زهو وفخر: «أبصر النور عليها، وأول ما تفتحت عيناه على سمائها، واستنشقت هواءها،

وتغذى جسمه الغض الطري من خواص أرضها الطيبة، وكان قد صادف ميلاده في زمن الإحباط واليأس، فكان بهجة في حالة الحزن والأسى، في وقت اغتصبت أرض، وشتت شعب، وخذلت أمة، كانت ولادته عام النكبة ١٩٤٨، في الوقت الذي زرع كيان غريب في قلب العالم الإسلامي، خنجر مسموم في خاصرة الجنوب اللبناني، بينما الحكام العرب متخاذلون مخدوعون، ومهزومون.

عبد اللطيف، اسم انتقاه له والده السيد جواد الأمين، مستبشرا به، متوسما فيه الخير، في زمن تراكمت فيه الخسارات، وترسخت الهزيمة. قدرت المشيئة الإلهية أن يهاجر والده إلى العراق طلبا للعلم مصطحبا معه أسرته، شأنه شأن العديد من أبناء جبل عامل، قاصداً مرقد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وقدر لعبد اللطيف تنشق نسيم الحق والحرية من عبق الإمام علي عليه السلام، وان لا يبتعد في صباه عن مرقد سيد الشهداء ليسير على نهج الحسين عليه السلام».

وتدور الأحاديث في القرية عن عودة السيد إليها ويتطاير الخبر بسرعة، ليبلسم قلوب المعذبين المضطهدين، لتطمئن النفوس المؤمنة، التي ضجت من الجهل والحرمان والظلم، فكان قدومه كشمعة تضيء الظلام، والشرارة التي ستضيء مشعل الحرية.

ويجتمع الحاج أحمد مع بعض الأصحاب لشرب الشاي ويخاطب الحضور بحديث حماسي يثير أهل القرية، ليقوم بزيارة السيد والترحيب: «لتكون عودته إلى لبنان بمثابة ميلاد جديد، لعمل رسالي نوعي. علينا الترحيب به كعادتنا باستقبال ابناءنا العلماء الأوفياء العائدين إلينا وهم يختزنون في صدورهم العلم، عاد السيد عبد اللطيف وهو يحمل الكثير، يحمل شجاعة وعنفوان إيمان وقوة عزة وإباء، يحمل معه مشروع استنهاض، يحمل معه القوة الأبدية، شجاعة علي، شهادة الحسين، كفيّ العباس، وصبر زينب، عاد حر الكلمة لا يخشى في الله لومة لائم، عاد يفيض حبا للإنسان والأرض، في قلبه عشق إلهي، وحب واله، لأهل البيت، وقاعدته الحب في الله والبغض في الله».

ويخرج الحاج أحمد من جيبه علبة التبغ ويلف سيجارته، ويسكت قليلا ويتابع شرب الشاي ويخيم الصمت للحظات ويثير كلام الحاج أحمد فضول الشاب المتحمس حسن فيبادره بالقول: حدثنا أكثر عنه يا عم.

الحاج أحمد: كان الفضل لوالده في دفعه بطريقة غير مباشرة ليكون عالما مبلغا لرسالات الله إذ نما في النجف وسط منتدى علمائي، عامراً بالمساجلات الفقهية والعلمية وشب على الأخلاق السامية، بدأ دراسته بالعلوم العصرية، إلا إنه عندما أنهى الدراسة

المتوسطة أبى إلا أن يسير على خطى والده في الدراسة الحوزوية، إذ اتخذه قدوة له ومثالا يحتذي به، فكان العالم الورع الحسن السيرة، خشن العيش زاهداً، متفرغاً لخدمة الدين، كثير المناجاة والاستغفار.

وكان عبد اللطيف ما يزال طريّ العود يشاهد عن كثب، أعمال والده ويختزنها في ذاكرته ليصهرها مع كل ما يتلقاه في طفولته ويصقلها بالإيمان والعقيدة، وينهل من النبع الإسلامي الأصيل فكرا رائدا تعمقت اسسه في احضان المرجعية حيث قدر له أن يتم تربيته، خاصة وبعد استشهاد والده وكان له من العمر ثلاث عشرة سنة، فتكفل السيد الحكيم قدس سره رعاية شؤون الأسرة.

فشب في أحضان المرجعية وعاش تجربة الدور الريادي للعلماء الذين كانوا يقاومون الاستعمار وخططه، ويحاولون استنقاذ الأمة الإسلامية بعد أن عانت تجربة الطوفان الذي التهم فلسطين عام ١٩٤٨ وجزأ الأمة وفتتها، وعايش بالتدرج كيف تمتد الأذرع الأخطبوطية لتسيطر على كل بقعة، وكل قطرة، وكل فكرة أو كلمة وكل حركة.

وها هو يعود السيد عبد اللطيف مع زوجته بشرى ابنة العلامة الشيخ محمد تقي الفقيه وأبنائه الأربعة، صادق وميثم، وجمانة وعزيزة. وها هي القلوب العائدة

تخفق طرباً عندما وطأت أرض عاملة الحبيبة، ولطالما كانت تنتظر قرار العودة إليها.

ويتأجج الحماس في قلب الشاب العاملي المستمع للحديث وتنطلق منه كلمات نابعة من القلب: قد لبىّ السيد عبد اللطيف النداء في الوقت الذي أخذ يدق ناقوس الخطر، ويفتح باب الجهاد فإن الحضور على الساحة الجنوبية ضروريا، وهي التي ما تزال تحمل سطور عز وإباء زينت بها صفحات التاريخ، لتكون دروسا خالدة لأجيالنا بقيادة أعلام ميامين، فمشعل الحرية الذي أوقده السيد عبد الحسين شرف الدين مع إخوانه في مؤتمر الحجير مازال وقّادا، ومواقف السيد موسى الصدر في الدفاع عن الأرض ووحدة الوطن، وإفشال مشاريع التقسيم في لبنان، والتعبئة لمحاربة إسرائيل والعمل على مقاطعتها ما تزال حاضرة في وجدانه.

وإذا بالحضور كله يتفق على إنه من الضروري الترحيب بالسيد و الجلوس مع القادم إليهم كنسمة ربيع هادئة، استبشروا بقدومه ولاح بريق أمل، على أن يكون داعية خير، فقد عرفوا عنه، من خلال زياراته القصيرة إلى لبنان، إنه رقيق القلب عقلانيا، لا يحب التزلف والمحاباة، زاهدا قانعا واسع الصدر، لعله يكون من يمسح جزء من ألوان الحزن عن التراب.

جاؤوا لاستقباله في المساء، كان السمر جليسهم تلك

العشية، وبدأ السيد بالحديث بشغف عن الأئمة والأولياء الصالحين، وعن الركبان في مقام علي والحسين، وعن البكائين والحفاة ما بين النجف وكربلاء. عن ذلك المكان الذي من عادته أن يرنم على نغماته الهدوء... ليعزف أنشودة الخلود، و يقصده من أراد المسير في خطواته نحو الكمال... متخليا عن عبودية المادة، ليرتدي لباس الحب الإلهي في طريق الهداية.

وسألهم: «كيف هي أوضاع الجنوب؟ وشقرا؟ والصوّانة؟».

ينتبه الضيوف للهفته في معرفة آخر الأخبار والمستجدات فيهمس أحدهم: «انظر إليه وإلى لهفته لمعرفة أخبار لبنان، عجبا لهذا العاملي كم يحب أرضه ووطنه فليست المرة الأولى التي أشاهد تعلقه بدياره، لقد لمست مرات عديدة عند علمه بقدوم الزوار اللبنانيين إلى العراق كيف يهب لاستقبالهم وخدمتهم».

ويجيب الآخر وكان ممن قصد زيارة العراق أكثر من مرة: «لا عجب في ذلك، فكان دائما يسألني عن جبل عامل، ويحدثني كيف يحرقه لظى الشوق لرؤية أرض عاملة الطيبة، وأهلها الطيبين، ولم استطع من خلال حديثه أن أعرف لمن الشوق؟ لرؤية حقول التبغ والزيتون، أو حنين يشده إلى المسجد والحقل، إلى سهرات السمر، إلى تربتها وكرومها، و لا أدري ما هو

السر. أهو تحسسه بالمسؤولية والشعور بالقهر والظلم الذي يعاني منه الجنوب اللبناني، أم البحث عن فسحة الحرية؟ أم هي أخبار المجازر ونداءات الاستغاثة، وأنات الجرحى والمعذبين؟».

وأطلق السيد في جلسته مفاهيم جديدة: استنهاض، تغيير، عودة إلى الأصول. وأخبرهم كيف كان للسيد موسى الصدر الدور الأكبر في توطيد العلاقة بين القضايا اللبنانية والفلسطينية من جهة والمرجعية الدينية من جهة أخرى، إذ كان يطلع المراجع على آخر المستجدات ويطلب توجيهاتهم، وليست ببعيدة آخر البرقيات التي أرسلها إلى المراجع أبي القاسم الخوئي، ومحمد باقر الصدر، والإمام الخميني، على إثر اجتياح ١٩٧٨ يطلعهم على الأوضاع وينتظر توجيهاتهم.

وأكد السيد عبد اللطيف إن أي مشروع استنهاض سياسي تحرري لا يمكن أن يكون بعيدا عن المرجعية وبمعزل عنها، بل بإشرافها وتوجيهها، وبيّن لهم دورها القيادي والريادي للأمة وتبنيها القضايا المحقة. حيث كانت ملجأ لكل الثوار، بدء من الحركات التحررية التي قادتها داخل العراق، إلى قدوم الإمام الخميني، ومن ثم إقامة جسر من العلاقات للمقاومة الفلسطينية مع المراجع حيث لقيت التأييد والدعم، إلى متابعة أحداث لبنان الدامية.

غادر الضيوف المنزل الذي يقيم فيه السيد، وفي طريق العودة إلى منازلهم يسأل الحاج حيدر حسن، ما بالك شارد الذهن، شو شاغلك بالك؟

فيقول الشاب حسن: ما زلت أفكر بكلام السيد، وكنت بدي أعرف منو أكثر عن علاقة المرجعية بالسياسة!.

فيجيبه الحاج حيدر: بسيطة الأيام الجاية كثيرة.

إلا إن حسن أصرّ يريد معرفة الجواب، فهو لا يستطيع النوم إذا كان يوجد سؤال يدور في رأسه.

فيقول الحاج حيدر: اسمع يا حسن سأحدثك ما سمعته من السيد معتمداً على ما فهمته، إلى أن تلتقي أنت مجدداً به، وتسمع منه، ما رأيك؟

حسن: بكون ممنون.

الحاج حيدر: شهدت الأماكن المقدسة في العراق بزوغ ظاهرة الإسلام السياسي الحركي فكانت رأس المقاومة والنضال ضد الاستعمار في هذه المنطقة.وكان الإمام الخميني والشهيد السيد محمد باقر الصدر يمثلان التيار السياسي والحركي، بينما كان السيد محسن الحكيم والسيد أبو القاسم الخوئي يهتمان بأمور الحوزة الدينية. وبذلك شكّلت المرجعية في العراق المحور الأول للتحرّك الإسلاميّ الثوري من خلال قيامها بنقلة نوعيّة جديدة في المجتمع العربيّ والإسلاميّ وقد برز ذلك واضحاً من خلال أمرين:

الأول: رسم منهج فكري قائم على أسس علميّة لمواجهة الفكر الاستعماري.

الثاني: إحياء المثل والقيم الإسلاميّة للثورة على الاستعمار.

وركّز الشهيد محمد باقر الصدر على دور «علماء الدين» والمهام الملقاة على عواتقهم، في إحدى الرسائل الفقهية التي وجّهها إلى مجموعة من العلماء في لبنان، تناولت أفكاره ومبادئه.

ويعود ارتباط طلاب العلوم الدينيّة بالإمام الخميني، إلى أوائل السبعينات حين طرح محاضراته في النجف الأشرف تحت عنوان ولاية الفقيه.وانتهج العديد من العلماء مذهبه في السياسة حتى ولو لم يكونوا من مقلديه، فكانوا يقلدون الخوئي في الأمور العبادية اليومية، ومن أتباع الخميني في السياسة ومن بينهم السيد عبد اللطيف الذي حاز على وكالة من السيد «أبو القاسم الخوئي» بعد أن نال ثقته، وتبنى أفكار الإمام الخميني السياسية. كانت العلاقة بين الحركة الإسلامية السياسية والمرجعية، علاقة المعلمين بالأتباع، فكانت تباركهم وتؤيدهم في العلن و الخفاء.

ونتيجة لتأييد السيد محمد باقر الصدر للثورة الإسلامية، ومواقفه الصارمة في وجه حزب البعث، قام صدام بقتله وشقيقته، وأخذ يطارد علماء الدين الذين

كان لهم دور سياسي أو ارتباط بالشهيد السيد محمد باقر الصدر، مما اضطرهم للرجوع إلى بلادهم فجاء قرار العودة للسيد عبد اللطيف، ليقوم مع قلة مخلصة للمرجعية بتشكيل نواة قادرة على شق طريق النصر في ساحة الصراع غير المتوازن ماديا، ترتكز على العقيدة والإمداد الغيبي بالنصر، وتحمل الأمل الكبير في صنع سفينة الخلاص.

خاصّة وأنّ الشهيد الصدر كان المعلّم لمجموعة من طلاّب العلم الذين أصبحوا فيما بعد قادة وريادي الحركات الإسلاميّة في العالم.

ويصل الحاج حيدر إلى منزله، ويودع حسن، الذي سار إلى منزله وحيدا وراح يخاطب أرض عاملة بقوله: إصبري أرض عاملة، إصمدي، لملمي الجراح، هدئي الروع، سكني الألم، ستعود الفرحة إليك،... إلى القرية... والحقل... لتسكن وجع الياسمين، وتمسح دمعة النرجس ستعود ومعها بذور الخير والأمل.

في الصوانة

قرر السيد عبد اللطيف الاستقرار في الصوانة بعد أن قصدته ثلة مخلصة من أهل القرية وتكلم باسمهم الحاج محمد: نريدك يا سيد أن تستقر بيننا، فالقرية بحاجة لرجل دين وتعاني من فراغ عقيدي وهي بحاجة للتبليغ الإسلامي، ومسجدها شبه مهجور ولا يؤمّه سوى ثلة بسيطة من كبار السن، وأنت تعرفت إلى أحوال البلدة عن كثب ودرستها بشكل دقيق، من خلال ممارسة حية تنطلق من واقع البيئة التي تعيش فيها، وما طرأ عليها من تراكمات سياسية محلية وإقليمية، وأفكار دخيلة تركت بصماتها على جيل الناشئة المسلم.

وتدخل ثان في الحديث: الظلم والحرمان متحدان في هذه الأرض الطيبة، فغياب الدولة ومشاريعها الإنمائية دفع بعض الناس إما للهجرة أو للتعامل مع الصهاينة الذين استغلوا هذه الثغرة لاستقطاب قلة ضالّة من أهل عاملة.ولا أظن أن حضور السيد سيغير الأوضاع. مثل قلتها تركوا السيد على راحتو، ما بظن عندو حلول.

فيجيب السيد والبسمة تعلو شفتيه أنه: لابد من العمل على إيجاد مشاريع إنمائية تنطلق من مبدأ الاكتفاء الذاتي والتحرر من التبعية، لذلك فأنه من

الضروري تعزيز الارتباط بالأرض للوقوف في وجه موجة الهجرة، إذ للأرض مفهوم خاص، فليس من صلة أقوى من صلة الفلاح بأرضه، والتي يعده شرفا فوق كل شرف.

وليجسد السيد هذا المفهوم في نفوس الناس انطلق من السعي لبناء بيت صغير على بقعة ورثها عن والده، بيت متواضع، تحيطه حديقة صغيرة، رسم السيد فيها مدى ارتباطه وتعلقه بأرضه، حتى بات هذا الأمر حديث جيرانه المقربين، فأم حسن تحدث ضيوفها وهم يشاهدون السيد وهو يعمل: يشده إلى الأرض سرّ غريب، ما بعرف هوّي رجل دين أم مزارع؟ بيطل على الأرض مع الفجر بهمته العاملية، وقامته المديدة، وقلبه النابض حبا لها، يزرع في ترابها يسارر نباتها، يلامس أوراق أشجارها بود غريب، وكان يحميها باقتلاع النباتات الطفيلية الغريبة من الجذور بيديه.

ويضيف «أبو حسن»: أكبر همه الأرض رمز الصمود. فهو يشجع على التسليف الزراعي وإصلاح الأراضي البور، والغرس والتشجير.

وكان السيد كثيراً ما يحدث المزارعين أحاديث الصمود والتعلق بالأرض، يحدثهم عن أبي أحمد الرجل المسن الذي رفض مغادرة قريته، والذي كان صورة تجلى فيها تقديس الفلاح العاملي لأرضه، فهي تاريخه

وذكرياته إنها الأم والزوجة والبنت والأنثى مرددا قوله: «الأرض حياتي كلها، هي نعمة من عند الله، حطيت فيها روحي، بأقدرش أفارقها، والله لولا يقولوا الناس مجنون لأنام بين أشجار الزيتون أيام الشتاء، وأتمرغ على التراب وهو بيشرب نعمة السماء».

وكثيراً ما ردد: أن الفلاح العاملي هو المستهدف الأول، ليس شخصه، لكن أرضه المتشبث بها ولطالما ظلت أقدامه راسخة فيها، ويديه تداريها، فكل مخطط لاقتلاعه تغيير هويتها حتما ستفشل، مهما لجأوا إلى ذرائع وحجج وأغروا الناس على تركها، بحجة الحرمان والإهمال من قبل الدولة.

لذلك حثّ الناس على التمسك بها، ونراه يشجع أحد الشباب على العودة إلى أرضه «كان والدك مزارعا طيلة عمره، وقد جعل من الأرض الصخرية جنة، نقب الحجار، فتت الصخور، نخل التربة، ستتعب في البداية لكنك ستعتاد ذلك».

حرص السيد على تمتين العلاقة بين الأرض والصمود، إذ عمل على ترسيخ مفهوم حب الأرض في أذهان الناس، حيث أعجز العدو عن انتزاعها، فالزراعة عنده كان لها بعد معنوي أكثر مما هو مادي.ما ساعد على قطع الطريق على المحتل وكثيرا ما كان يوصي: «الأرض، الأرض»، وها هو يلاطف أحد الفلاحين عندما

لمس نبتة طرية العود بقوله: «بعدها صغيرة لا تقوى على العطاء».

أما «أبو حسن» من شدة تعلقه بالسيد لا ينسى أن يروي لأطفال القرية حكايته مع السيد والأرض، لكي يحبه الجيل الجديد: «كنت أفلح الأرض وكان يزرعها بندورة وخيار، وكل شيء بيده يعملو، وكأنه مزارع، والجنينة حول بيته هو نصبها، كان يشلح ثوبه الديني، ويلبس ثوب العمل، كان بسيطا وعاديا، ويحب الأطفال، وبتذكر لما كان يأتيه هدايا حلوى من الزائرين كان يوزعها خصوصا للصغار».

حاول السيد عبد اللطيف رسم الصورة الواضحة للحياة، بإبعاد الكآبة والبؤس واليأس، أن يكون عاشقا لله والأرض والعمل، فقد سعى إلى إيجاد مجتمع حي، يعيش الحلم والأمنية، يبني حياته اليومية بقوة وتفاؤل مبعثهما تجربته التاريخية، يؤصل في نفوس العامليين الإحساس بالجوهر المميز للتجربة الإسلامية، لتظهر قدرتهم اللامحدودة على تحمل المصائب والمقاومة، والإيمان بقوة الحياة واستمراريتها، كيف يكون العشق لله، غير مجرد عن حب الأرض والوطن، ومنازلة العدو والنضال السياسي، وكثيراً ما كان يردد «هؤلاء سيكون لنا معهم يوم عصيب وليس ببعيد».

ولخدمة مشروعه أسس جمعية خيرية اجتماعية وثقافية لإعانة الفقراء والمحتاجين، ومساعدتهم في مختلف المجالات التربوية والزراعية والاجتماعية، وساهم بالتعاون مع أعيان البلدة والفاعلين فيها على تطوير المدرسة وتحديثها، بناء وتدريسا وتجهيزا.وأقام الندوات وشجع على حلقات التدريس المسجدية، وإحياء المناسبات الدينية، وكان في إرشاداته الدينية يركز على قراءة سيرة الأنبياء والأولياء، وتعلم القرآن والتدبر.

وكثيراً ما ركز على العمل الاجتماعي، والتعاون والاتحاد ونبذ الخلافات وتوطيد العلاقات وتمتين الأواصر، كان اجتماعي المجلس كثير التجوال، يشارك الناس في همومهم ومشاكلهم، يشاركهم في الكلمة والعمل، يقترب منهم يعاونهم في أعمالهم يشعرهم بأنه واحد منهم، فيدخل دار أحدهم، وإذا مرّ بالقرب من آخر وهو يعمل في أرضه يقترب منه يساعده، وكان محبا للتزاور، حتى بات الناس يشعرون أنه جزء منهم يطلع على أحوالهم ومشاكلهم، يرعاهم كأب حنون.

كان له وقع في النفوس، قريبا من القلب، محبوبا من الناس، مشهورا بالتواضع، يتعاطى مع الجميع بكل عطف وحنان، كان لكلامه تأثير على أهل الصوّانة وشبابها حتى تمكنوا من الصمود في وجه الاحتلال رغم الضغوط لأنه «ما دام السيد باقي هم باقون».

حثّ الناس على العمل الجماعي وفتح باب التبرعات للإصلاح، وكان يشجع الناس على المساهمة ولو بكمية ضئيلة لكي يشعر الجميع بمساهمتهم بهذا العمل، فبدأ بجامع القرية المتواضع، ثم اشترى أرضاً في وسط القرية ووقفها، إذ أنه لم تكن توجد أرض وقف قبل قدومه.وأول عمل اجتماعي بدأ به هو إيجاد جبانة للبلدة، بعد أن جمع المال من أهاليها، واشترى العقار.

وكان لابد من عملية تثقيف وتنوير بعيداً عن المدارس الغربية، وتوعية الفرد وتهذيبه والعودة به إلى أصالته، بعيدا عن قيود المادة والتغريب، والتبعية فهو يقول: «إن كلمات الله في فهم الإنسان تنتشر مثل شعلات، تحرق في مداها، كل ما ليس منها، فإذا لها على الأرض ضياء كما لها في السماء ضياء، فالله نور السموات والأرض».

كان الشباب متعطشين للأمور الدينية، وكان ينقصهم رجل يوجههم إلى طريق الحق، رجل يقودهم إلى طريق الرشاد، فعمل في صفوف الشباب وكان يذهب إلى الجامع في أيام القبضة الحديدية، يوم لم يكن أحد يستطيع الخروج، ليحي في نفوس الشباب روح التحدي ويؤجج أتون الثورة.وكان حسن يواظب الحضور إلى الجامع، وتكبر الآمال بتحرير الأرض المغصوبة،

ويواسيها بكلماته: صبراً أرض عاملة قد قرب المدد، ليعيد للأطفال بسمتهم، وللفراشات فرحتها بلقاء الزهور، صبرا ستشرق الشمس عما قريب وتصدح أغاريد النصر والتحرير.سيعود حتما بعد بزوغ فجر الثورة.

فجر الثورة

بزغ فجر الإسلام مجددا، يحمل عبق الشهادة على أجنحة الثورة، ناشرا أريج الحرية في أرجاء العالم، ليدغدغ مشاعر وأحاسيس المظلومين والمستضعفين، الذين طالما حلموا بدولة عادلة، دولة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وأصبحت الأنظار كلها مشدودة نحو القبضات الحسينية والهتافات الخمينية في إيران «لا شرقية ولا غربية».

بل كانت شجرة أصلها الإسلام، فتعلقت القلوب الوالهة بالرسالة المحمدية، بهذه الثورة لتعيد للإسلام أصالته، وتقف بوجه التيارات المادية، ولهجت الألسن بالدعاء لنصرة الإسلام. كان اللبنانيون يتلهفون لمعرفة كل جديد، دائما يتتبعون آخر الأحداث، حتى صارت هاجسهم اليومي.

وجاء عام ١٩٧٩ يحمل انتصار الثورة المباركة لتكون إشراقة أمل على جبين الشرفاء المتطلعين لشمس الحرية، وعمّت الفرحة والسرور قلوب مستضعفي العالم، وفي لبنان، وفي جبل عاملة انتشرت زغاريد النساء، ووزعت الحلوى، ووفيت النذور، منهن من وزعت الخبز، والملح، وصحون الهريسة، ولم يعد خطاب الإمام الخميني مقتصرا على إيران بل هز صداه العالم بأسره،

وأصبح بوابة العبور إلى الميناء الذي تهفو إليه قلوبهم العابقة بالثورة الإسلامية ومبادئها، وكانت المرحلة تفرض و جود مرشد وقائد بحجم الصراع.

كان فجر الثورة، إيذانا بميلاد جديد للحرية، كان فجرا صاغ خيوطه الأولى من دماء الشهداء العلماء، فبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، ظهر أنّ أهمّ التوجّهات السياسيّة عند الشهيد الصدر هو التحامه منذ اللحظات الأولى مع "الثورة الإسلاميّة في إيران"، وتأكيده على التحالف الإستراتيجي والمصيري معها في ظلّ قيادتها الرشيدة المتمثلّة بالإمام الخمينيّ: «ذوبوا في الإمام الخميني كما ذاب هو في الإسلام».

وجاءت دعوته من خلال إيمانه بدور المرجعيّة في مشروع الدولة الإسلاميّة، وذلك لما تحمّلته هذه المرجعيّة الرشيدة من أعباء على مرّ التاريخ إذ عاشت دائما هموم وقضايا مستضعفي الأمّة، متصدّية لكلّ ألوان الباطل والفساد متمسّكة بهدفها: إقامة دولة الأنبياء.. لقد عمل السيد عبد اللطيف مع أخوته في توضيح صورة هذه الثورة ومفهومها، وفي نقل وقائعها، مبينا كيف تستطيع الشعوب بإرادتها إحراز النصر، وذلك من خلال نقل صور البطولات والتضحيات، وكثرت الأحاديث بين الناس عن ملايين الشهداء قدموا أنفسهم قرابين للحرية. والنساء اللواتي نزلن للشوارع تهتفن

بسقوط الشاه والأمهات يقدمن أولادهن بكل فخر وسرور وعجوز طاعنة في السن قدمت أموالها للثورة وعروس قدمت مهرها للثورة... ومجازر الشاه بالشعب الإيراني.

وأخذت تقوى الأواصر مع الثورة الإسلامية، ونصرة اخوانهم اللبنانيين لهم، خاصة بعد المحاولات الفاشلة للقضاء على النظام الإسلامي، إلى أن جاء الاجتياح العراقي، وتطوع بعض اللبنانيين للمشاركة على الجبهة الإيرانية العراقية، والالتحاق بها: فمنهم من استشهد ومنهم من أسر، وكان أئمة المساجد يتابعون أخبار الحرب، ويطلبون من إخوانهم نصرتهم بالدعاء، ويذكر أهالي مجدل كيف كانت أصوات التهليل والتكبير تسمع حينما أمر السيد عبد اللطيف بإطلاقها، بعد تحرير خرمشهر».

فكان يحمس الناس: «كبروا بأعلى أصواتكم، لتلتقي أصواتكم بأصوات القرى المجاورة.. إزرعوا الرعب في قلوب أعداء الدين».

لقد كان للثورة الإسلامية الأثر البالغ في توجيهات السيد عبد اللطيف في تلك المرحلة، إذ حرص على إنمائها وإثرائها في نفوس مريديه وفي مجالسه، فشرع السيد بتعبئة الناس للالتفاف حولها في زمن التكالب الاستعماري والهجمة الشرسة الحاقدة على الإسلام،

فكان النافذة التي يستنير منها الناس بآراء الإمام الخميني الذي تبنى قضايا المستضعفين على صعيد عالمي، وحارب أميركا وإسرائيل منذ انطلاقة عمله الجهادي، معتبرا أميركا الشيطان الأكبر، وإسرائيل غدة سرطانية زرعت في كيان الأمة لتقضي عليها.

وجاء الاجتياح الإسرائيلي ١٩٨٢، وامتدت أمواج الحرية هادرة لتحطم سفن الطغاة الراسية في لبنان، وجاء المدد الإلهي لإضفاء روح السكينة وطرد الخوف من قلوب اللبنانيين، ليسطروا أروع الملاحم، والبطولات، وليسجلوا مواقف العز والإباء.

لقد تزامن استنفار الطاقات وتعبئتها مع العمليات الاستشهادية النوعية التي أنزلت بالصهاينة أشد الضربات، وما حضور بعض عناصر حرس الثورة على الساحة اللبنانية لتأييد إخوانهم في أرض عاملة وفي فلسطين المحتلة إلا دلالة على وحدة الهدف والمسيرة في الصراع الحضاري بين محور الخير المتمثل بالثورة الإسلامية نصيرة المستضعفين في العالم، وبين محور الشر الغربي على رأسه الشيطان الأكبر أميركا وربيبته إسرائيل.

انطلق السيد للعمل مع العلماء المجاهدين، وأسسوا في الجنوب هيئة علماء جبل عامل، وحضر اللقاء الأول وبرفقته الشيخ راغب حرب، الذي كان يتردد إليه

باستمرار، وبدأ نشاط السيد عبد اللطيف يظهر للعلن بمشاركته في الاعتصامات والتجمعات التي كانت تستنهض الناس.

بدأ الناس الملتفين حول السيد عبد اللطيف يتفاعلون معه ويعون القضية وحجم الصراع، وبدأت ثقتهم به تكبر أكثر فأكثر، خاصة عندما وجدوا أن خطبه على المنابر وتوجيهاته وتركيزه على آيات القتال والإعداد لم تكن مجرد شعارات. وقف السيد عبد اللطيف مع أخوته العلماء المجاهدين مواقف صلبة، فلم يقبل بالمساومة، مشددا على طبيعة العدو الإجرامية، موضحا المطامع الخفية لليهود.

لم تعد ترهبهم القوة الإسرائيلية الغاشمة، وأصبحت المساجد متاريس للمواجهة، وأخذ العلماء بدورهم في توعية الأمة وتثقيفها، ودفع الناس إلى مقاطعة البضائع الإسرائيلية، وعدم التعامل بها ، وأخذوا يعملون بصمت ويستعدون للعمل العسكري. وكثيرا ما ردد السيد عبد اللطيف قوله:

«لن نستسلم، لن نهادن».

«يجب إزالة الغدة السرطانية».

«اقتلوهم حيث ثقفتموهم هؤلاء عبيد الدنيا، إنهم يموتون رعبا أمام الموت».

أصبحت الصوّانة تعيش حالة من الاضطهاد النفسي

والترويع الوحشي الذي يمارسه الصهاينة كغيرها من القرى المجاورة، إذ قاموا بمداهمة البيوت واعتقال الشبان، والضغط على العلماء للهجرة من الجنوب، فالممارسات الإسرائيلية القمعية كانت تتزايد يوما بعد يوم، لتبلغ أوجها مع ما سمته القبضة الحديدية، فمن غارات جوية استهدفت أكثر المناطق اللبنانية (بحمدون، صوفر، بعلبك، جنتا، المديرج ضهر البيدر...) إلى قصف مدفعي لقرى الجنوب اللبناني، إلى اقتحام قرى بحثا عن مشبوهين، وكثيرا ما كانت تترافق هذه الاقتحامات مع صدامات بالأهالي (الغازية، القرعون، كامد اللوز، دير قانون، كفرصير، النبطية، الصرفند، كفرملكي، معركة، قانا، جبشيت...) بحيث أن الصورة تتكرر دائما: تحاصر القوات الإسرائيلية القرى منذ الفجر، تمشطها، تفرض منع التجول، تقتل المشبوهين الذين يحاولون الهرب، تبدأ حملة اعتقالات، وتهدم المنازل التي تخص «عناصر خطرة».

كما فرض الإسرائيليون قيود قاسية على تنقل سكان المنطقة المحتلة: فرض منع التجول، إقفال معابر المرور التي تربط المنطقة المحتلة بباقي البلاد، منع استخدام الدراجات النارية، منع تنقل شخص بفرده داخل سيارة (لتجنب عمليات انتحارية محتملة...) كما قاموا بإجراءات وقائية استثنائية لتأمين سلامة تنقلاتهم:

إتلاف الحقول الموجودة على جانبي الطرق، إطلاق النار على كل ما يشتبه به، استعمال المدنيين كدرع أثناء مرورهم في مناطق يعتبرونها خطرة.

وكانت تنظم حملات تطال قطاعات واسعة من الناس، وحملات تأديبية ضد قرى تعتبرها خطرة، وكان الحدث المهم اعتقال العلماء وتعذيبهم ومن بينهم أخ السيد عبد اللطيف، إلا أن هذا ما كان يزيده إلا صلابة، وعندما جاءه أحد ضعاف النفوس يخبره الأمر خشية إيقاع الضعف والوهن في نفسه: «يا سيد قد اعتقلوا أخوك، فماذا تريد بعد ألن تهدأ، ألا تخاف؟ أن يأتي دورك».

فيجيب السيد بروح هادئة ونفس مطمئنة، ويقين قوي: «قل لأسيادك إن هذا الأمر لا يرعبنا، ولا يخيفنا، إنما هو في سبيل الله وعلى ملة رسول الله، نحن لا نخاف الموت، بل نحن عشاق شهادة، وهبنا أنفسنا وأموالنا وأولادنا لنصرة الله».

إن هذا النهج الخميني المفعم بالروح العلوية والعشق الحسيني أقلق الصهاينة كثيرا، إذ أفشل مشاريعهم ومخططاتهم، مما دفعهم إلى إيجاد وسائل ضغط جديدة، فاتبعوا سياسة القبضة الحديدية، إلا أن هذه فوجئت بقبضات تستمد قوتها وعزيمتها من قبضة علي التي قلعت باب خيبر: «خيبر خيبر يا يهود جيش محمد سوف يعود».

ويقبضات حسينية تهتف: «إن كل ما عندنا هو من الحسين" نسير على دربه نخط درب الحياة والكرامة بالدماء الطاهرة».

يصلها صدى كلمات الحسين «هيهات منا الذلة»، ليصبح شعارها «كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء».

يزور السيد البيوت المنكوبة: ويقول لأصحابها «الملك لله...».

ويقول لأهالي المعتقلين «اقبلوني ابنا مكانه... إنه فخر لنا... هنيئا لكم... هنيئا له...».

وبرز نشاطه بشكل مميز بعد اعتقال الشيخ راغب حيث قام وآخرين باستنهاض العلماء ودعوتهم للاجتماع في جبشيت، وفي إحدى المرات بينما هو عائد من اعتصام في جبشيت، وعلى حاجز مجدل سلم، كانت توجد مظاهرة فقال للشيخ الذي كان معه «خلينا نشارك» فشاركا في المظاهرة وأوقفوهما على الحاجز وقال الإسرائيلي للشيخ: «روح إنت كويس».

فرد الشيخ: «لا أنا مش كويس».

فسأله السيد عبد اللطيف: «ليه قلت له هيك؟».

فرد الشيخ: «لأنوا الكويس يعني منيح معهم».

فضحك السيد وقال: «أنا أبدا مش كويس».

وكيف سيكون السيد على علاقة حسنة بهم، والسيد لا يلتفت إلى أحد من العملاء، ولا يلقي التحية، و

يظهر الكراهية للذين يقفون على حواجزهم، وكان الناس يتشجعون بتصرفات وأفعال السيد، وأكثر من مرة «حسين العميل» كان يضرب من الناس وينتشر الخبر «حسين العميل قتلوه الناس».

ومرة أخرى ينقل اولاد القرية خبرا عنه «قلبوا السيارة على حسين العميل» في الوقت الذي كان في البلدة مسيرة والسيد يشارك فيها، فأراد أن يخترقها .وعدة مرات أقام اليهود للسيد حاجزاً «طياراً»، منها حين كان ذاهبا إلى السكسكية، فتجاوزت سيارة عسكرية سيارته وأقامت حاجزا له، وكان يرفض التفتيش.

شارك في معظم الاعتصامات، فأهالي الحلوسية شاهدوه في طليعة العلماء الذين تضامنوا واعتصموا مطالبين بالإفراج عن إمامهم.

وعند اعتقال الشيخ راغب كان للسيد مع إخوانه الشرفاء مواقف جريئة ضد الصهاينة؛ من اعتصامات وإضطرابات وتوتر الوضع الجنوبي قاطبة، وأصبح على فوهة بركان، فقد أخذت تتفاعل مع الشيخ كل الأحاسيس والمشاعر، وكل الأحاديث، حتى أن القلوب الحرة الوفية سرعان ما اتجهت نحوه، والإرادات الصلبة، سرعان ما اتحدت من أجله، وأخذت نداءات العلماء في المساجد تشحذ الهمم وتجمع الطاقات وترص الصفوف.

وكان السيد عبد اللطيف يردد في خطاباته ونداءاته: «يجب أن نعمل جهدنا لإخراج الشيخ راغب من السجن، الكل مسؤول، الشيخ شيخنا، وسنقوم بالمواجهة، الشيخ رمزنا يجب أن يرجعه اليهود الأرجاس رغما عنهم».

وطلب من أحد الشباب أن يذيع الاعتصام تضامنا مع أهالي قرى عاملة ولبي النداء وتقاطر الناس سريعا إلى ساحة القرية معلنين غضبهم وثورتهم على معتقلي الشيخ، والمئذنة يصدح صوتها عاليا: «الويل لأعداء الإسلام»، والسيد عبد اللطيف في مقدمة الجموع يلهب المشاعر الثورية بكلماته السحرية فتتفاعل معها الحناجر:

«كبروا بأعلى أصواتكم لتصل التكبيرات إلى أنصار، تخترق الأسلاك والأشواك».

«الموت لإسرائيل».

«حرباً حرباً حتى النصر زحفاً زحفاً نحو القدس».

اضطر الصهاينة إلى الإفراج عن الشيخ بعد أسبوعين من التظاهر والاضرابات والاعتصامات، إلا أن الشيخ لم يسكت وخرج من السجن اكثر إصرارا وعزما وتحديا، مما دفع الحاقدين إلى قتله برصاص الغدر والخيانة ظنا أنهم سيقضون عليه، فجاءت شهادته لتضخ دمه الثوري في شرايين كل حر وثوري وشريف.

وكانت ليلة جمعة من ليالي شباط المقمرة ليلة

استشهاد الشيخ راغب، وما إن وصل النبأ إلى الصوانة سرعان ما تجمع أهل القرية بالقرب من منزل السيد بإنتظار توجيهاته.

خرج السيد إليهم وكله ثقة، وراح يخطب ويتحدث عن الجهاد وعن المقاومة، وعن اعتقال الشيخ، وكرامة الشهادة، وأطال وأفاض ودعا للسير على نهج الحسين وزينب وقال: «لا بديل عن درب الشهادة، ولا نصر بلا شهادة، ولا عزة بدون شهداء»، وبالرغم من ذلك شدد على ضرورة استنكار هذا العمل.

وبعد استشهاد الشيخ راغب قام الإسرائيليون بمجزرة في سحمر (البقاع الغربي، أطلقوا النار على الناس المجتمعين في الساحة، فكانت الحصيلة ١٣ شهيداً من أهالي القرية و٢٨ جريحاً)، وأخذ السيد يكشف القناع عن الوهم الإسرائيلي: «لا تخشوا هؤلاء الأقزام عاملوهم بقسوة واحتقار... احتقروهم فأعداؤنا حثالة البشر، إنهم يخافون على دنياهم كما تخاف الفئران، يختبئ الاحتلال وراء مظاهر القوة الكاذبة، لضعف فيه، يريد إخافتكم، كما أخاف من قبلكم جيوش العرب، يريد أن يهزمكم من الداخل كي لا تستطيعوا الاقتراب منه، فتكشفوا خوفه، كل هذه القوة هي من الكرتون مصبوغ بلون حديد».

وتتوالى أخبار القرى المجاورة الصامدة التي تعرضت

لهجمات العدو الصهيوني خاصة وأن بعض القرى عرفت «الطوق» أي أن الصهاينة وعملاءهم كانوا يقومون بتطويق القرية وسد منافذها، ويفرض منع التجول فيها، ثم تهدر سياراته المصفحة في أزقة القرية وينتشرون وفي أثارهم كلاب الأثر: «يظنون أن باستطاعتهم إزالتنا عن أرضنا، نحن لسنا بيوت طينية يسهل هدمها، نحن التراب كلما قشطوا طبقة وجدوا طبقة أخرى، وكلما أزاحوا صخرة جوبهوا بصخرة».

ويعلق آخر «نحن كالحشائش كلما حصد جيل نبت مكانه جيل آخر، وكالسرو كلما مرت موجة ازدادت مسحته ثباتاً».

وصلت أخبار بطولات معركة وكيفية صمودها ومواجهتها للعدو، و كيف تحولت لبركان صب حممه على المحتل، شارك الجميع كبارا وصغارا حتى النساء كن يلقين بالزيت المغلي فوق رؤوس الصهاينة.

فقد قام السيد عبد اللطيف بدور فعال و تميز بحضور مؤثر على الساحة فقد كان يقوم بعدة نشاطات يخدم فيها بلدته وجوارها، ويسعى إلى تنميتها وقد كان لحركة الوعي والتعبئة دورا رئيسيا في مواجهة هجمة الصهاينة من حيث المضمون والآثار والامتداد:

فمن حيث المضمون شملت هذه الحركة الجانب العقائدي والروحي للمفاهيم الإسلامية وتناولت قضايا

العلماء بإحباط المخططات الصهيونية، وكشف أباطيلها ليشكل مع القرى المجاورة ومع اللبنانيين الشرفاء جبهة واحدة ضد العدو الغاصب والذي كان يقلل من قيمته ومكانته ويظهره على حقيقته.ويكسر الحاجز النفسي المتمثل بالخوف. فقد كان بثباته كالقلعة، وبعزمه الذي لا يلين، يدافع عن قضية مصير، وقرار وجود نابع من عقيدة ورؤية وبصيرة نافذة، أكثر الأثر في انتشار هذا النهج وتفاعله على صعيد المنطقة بشكل أقلق الإسرائيليين وجعل مؤشر التوتر الإسرائيلي يتصاعد، مما دفعهم إلى رصد تحركاته عبر خفافيش الليل عملائهم.

لقد كان له نشاط بارز مع النخبة الواعية التي اختارت نهج الإمام الخميني لمقارعة الاستعمار بإفشال المشاريع الخيانية. في الوقت الذي بدأت المقاومة تتخذ مظاهراً وأشكالاً مختلفة في جميع المناطق اللبنانيّة، بدءاً بالاحتجاجات والبيانات، مروراً بالتظاهرات فالاعتصامات، فالإضرابات الجزئيّة والعامّة، والإضراب عن الطعام أحياناً، ثم المهرجانات الخطابيّة وخطب المساجد وصولاً إلى الانتفاضات ورشق العدوّ بالحجارة والدواليب المشتعلة لمنعه من دخولها..كانتفاضة "برجا"بعد اعتقال عدد من شباب البلدة و انتفاضة «جبشيت» الأولى بعد اعتقال الشيخ راغب

العلماء بإحباط المخططات الصهيونية، وكشف أباطيلها ليشكل مع القرى المجاورة ومع اللبنانيين الشرفاء جبهة واحدة ضد العدو الغاصب والذي كان يقلل من قيمته ومكانته ويظهره على حقيقته.ويكسر الحاجز النفسي المتمثل بالخوف. فقد كان بثباته كالقلعة، وبعزمه الذي لا يلين، يدافع عن قضية مصير، وقرار وجود نابع من عقيدة ورؤية وبصيرة نافذة، أكثر الأثر في انتشار هذا النهج وتفاعله على صعيد المنطقة بشكل أقلق الإسرائيليين وجعل مؤشر التوتر الإسرائيلي يتصاعد، مما دفعهم إلى رصد تحركاته عبر خفافيش الليل عملائهم.

لقد كان له نشاط بارز مع النخبة الواعية التي اختارت نهج الإمام الخميني لمقارعة الاستعمار بإفشال المشاريع الخيانية. في الوقت الذي بدأت المقاومة تتخذ مظاهراً وأشكالاً مختلفة في جميع المناطق اللبنانيّة، بدءاً بالاحتجاجات والبيانات، مروراً بالتظاهرات فالاعتصامات، فالإضرابات الجزئيّة والعامّة، والإضراب عن الطعام أحياناً، ثم المهرجانات الخطابيّة وخطب المساجد وصولاً إلى الانتفاضات ورشق العدوّ بالحجارة والدواليب المشتعلة لمنعه من دخولها..كانتفاضة "برجا"بعد اعتقال عدد من شباب البلدة و انتفاضة «جبشيت» الأولى بعد اعتقال الشيخ راغب

حرب.وانتفاضة «النبطيّة» في يوم عاشوراء، على أثر منع إقامة ذكرى عاشوراء. وانتفاضة «المروانيّة» والحركات الداعمة لها بعد اعتقال ستة من شبابها. وانضمّت إليها بلدة «دير قانون النهر» و«زفتا» و«الصرفند».

وتزامن ذلك مع الوضع السياسيّ اللبنانيّ، والذي شهد تقارب مع السياسة الأميركيّة التي هيمنت على الساحة البيروتيّة، وأصبح المارينز مع المظلّيين الفرنسيين والجنود البريطانيين الحزام الأمني لحماية النظام اللبنانيّ وقمع المعارضين له، وهذا الأمر ساعد على رضوخ العديد وصمتهم أمام اتفاقيّة ١٧ أيّار، باستثناء حركة شعبيّة شهدتها الضاحية الجنوبيّة، مستمدّة عزمها من المجاهدين الذين قاتلوا العدوّ بأسلحتهم المتواضعة. وكان ذلك تحت إشراف «تجمّع العلماء المسلمين» في لبنان. وتتالت الاضرابات الشعبيّة العارمة.

وتكامل فيما بعد العمل الشعبي مع العسكري إذ رافق الرفض الشعبيّ لاتفاق ١٧ أيارّ عمليّات عسكريّة، كان لها أكبر الأثر في إلغائه حيث برزت إستراتيجيّة جديدة هي «العمليّات الإستشهاديّة»، حيث تتحوّل الأجساد إلى عبوات ناسفة نجحت في جعل العدو يعيد التفكير ويعرف أنّ أرضيّة الشارع اللبناني رمال متحرّكة ضدّه وضدّ الراعي الأميركيّ لهذا الاحتلال.

وبرز ذلك مع فاتحة العمليّات الإستشهادية وهي تفجير «مقرّ الحاكم العسكريّ» في صور، وبعد فترة تقدّر بخمسة أشهر جاءت عمليّة ثانية، ضدّ «السفارة الأميركيّة» في بيروت، بعدما وصلت الدبلوماسيّة الأميركيّة إلى ذروتها في تحقيق نجاح سياسيّ يوافق مصالحها ومصالح إسرائيل في الشرق الأوسط.فجّرت سيّارة مرسيدس مقرّ القيادة الأميركيّة «المارينز».

كانت النواة الأولى للمقاومة بدأت تتشكّل آنذاك من شبّان إسلاميّين اتخذوا قراراً ضمنيّا بهوية إسلاميّة مستقلّة عن كلّ الأطر الموجودة في الساحة، ونزلت للقتال.ثم بدأت الدعوة لجميع المؤمنين في لبنان إلى الالتحاق بمخيّمات التدريب الخاصّة لتأهيل المقاومين المجاهدين ضدّ العدوّ الصهيونيّ، وتشكّلت في هذا الوقت قيادة سياسيّة وجهاديّة لقيادة عمليّات المقاومة ضدّ العدو الصهيونيّ،

ويأتي خطاب السيد عبد اللطيف أكثر صلابة ويبقى موقفه ثابتا، ويكرر قوله: «يا أبناء عاملة لا تخافوا من الخوف فهؤلاء اليهود هم الخوف في ثياب الرجل»، حتى بات يشكل عبئا بجهاده على الاحتلال، ورمز للمقاومة والصمود، فأهالي المنطقة يذكرونه عندما حاصر العدو خربة سلم، وكيف نزل السيد إلى الشارع ودعا أهالي البلدة لإقفال الطريق، وقطع

الإمـدادات عن العـدو، وكيـف دخل إلى سـاحـة المواجهـة، ولم يكتف بتـحـريك مشـاعـر الناس وإطلاق الشـعـارات الثـورية، بل كـان في الطـليـعـة مع من وقـفـوا في وجـه الدبابات.

ومن حـيث الآثـار كـان النمـوذج الراقـي لأجل وأصـدق صـور الإيثـار والتـضـحـيـة، لقـد احـتل مكانة فـريدة في البيـئـة التي عـايشـهـا، وكـان لكلامـه وقـع خـاص في قلوب النـاس، إذ امـتـاز بـرونق مميز، فأصبـح المرشـد والدليل وقد كـان مـلجـأ للمـسـتـضـعـفين والمحـتـاجين ورمـزا مـن رمـوز العطاء، كان لا يتوانى عن تقديم أي خدمة صغيرة كانت أم كبيرة لأي كان. كفكف دموع الثكالى ومسح على رؤوس اليـتـامى، لملم الهـواجس والآهات، حطم حـاجـز الخـوف، الأسطورة الخرافية ليرحل الظلم والعدوان عن أرضنا.

عرف السيد عبد اللطيف بمواقفه الصلبة ومشاركته في الاعـتـصـامـات ومـواجـهـتـه للمـحـتل يؤسس مـع إخـوانه لانطلاقة المقاومة الواسعة.

الحلم

الشهادة بالنسبة للسيد عبد اللطيف، كانت الأمنية، والهدف، والغاية، كانت قرارا، يسعى إليها ويطلبها، كان مصمما على الفوز بها، وكان يستبشر بنيلها.

كان يهيئ عائلته ويهيئهم لهذا اليوم فكثيرا ما يكرر في جلساته:

«إن عمري سينتهي في ٣٦».

فيقول من بالمجلس «لا تتشاءم».

فكان يجيب «أن جدي وأبي توفيا في هذا السن، وإحساسي يحدثني إنني سأتوفى في هذا السن».

وبالفعل يقوم السيد عبد اللطيف من نومه حائرا، لا يدري ما الذي يدفعه إلى كتابة منامه الذي لم يعرف تفسيره، فيحمل القلم ليدون: «رأيت مناما إني في النجف الأشرف، وفي بيتنا كل من الشيخ محمد رضا والشيخ غازي والشيخ أحمد، وكل الجيران موجودين هناك، وبينما كنت أحمل طفلا عند الغروب متجها إلى بيت الشيخ محمد رضا فالتقيت به وكان هو أيضا يحمل طفلا، فوقفنا في زاوية بيت الشيخ علي شمس الدين، وكان في الشارع هرج ومرج وضوضاء، وإذا بشعلة حمراء خرجت من السماء من الزاوية الشمالية الغربية وانفجرت وطلع لها صوت عال، وكان حينها الشيخ

محمد رضا قد ذهب إلى البيت فهرولت صارخا باتجاه بيته، وقلت له جاء الحق وزهق الباطل. أخرج وانظر إلى السماء وكان الدخان في السماء باتجاه ما خرجت الصاعقة غيم أسود فأظلمت الدنيا، وبالأثناء وجدنا الناس يحملون السلاح ويتدربون. وقد ندمت في أثناء المنام على إنني لم أكن شهيدا للإسلام وتمنينا جميعا أنا ومن كان معي لا أذكرهم أن نؤدي واجبنا تجاه الإسلام والمسلمين، وقلت لهم إن ما بقي أكثر مما فات فواجبنا لا يقل عن واجبهم الذين ضحوا في سبيله حياتهم، فأرى أن نؤدي واجبنا اتجاه الإسلام والمسلمين. أفقت الفجر في الخامسة تماما. وأنهى كتابته بقوله: «عسى أن يكون خيراً».

وبعد أن انتهى من الكتابة خبأ الورقة المدونة، والتي جعلها على شكل وصية، في الدرج وطلب من زوجته أن لا تفتح إلا بعد وفاته.

ومن قصص السيد عندما جاءه أحد الأشخاص المأجورين من قبل الاستخبارات الإسرائيلية، طرق الباب، ففتح له السيد الباب، فمد يده مصافحا، فقال السيد: «لن أصافحك لأن يدك تنجسني».

لم تنجح وسائل الضغط عليه، ولم تضعف عزيمته بسبب مراقبته والتضييق على تحركاته، بل زادته صلابة وقوة، ضيقوا على أنصاره وأتباعه سجنوهم، ولم يستثن

حتى أخوه، فلم يزد الشجرة الطيبة إلا تمسكا بالجذور والأصول الإسلامية، لتكون لا شرقية ولا غربية، ولتزداد رسوخا في الأرض شامخة منتصبة في السماء لا تلويها الرياح ولا تكسرها العواصف.

بعد استشهاد الشيخ راغب حرب تحول إلى ثورة تأهب وغضب، وإلى أسد على باب العرين، بقي بحركة دائمة ومستمرة، يعمل في صمت، يدخل القلوب المؤمنة كالسحر، يقوي العزائم، يروي النفوس بإكسير المحبة والعشق لله. أذهل العدو الغاصب بمواقفه الجريئة والشجاعة، فلم يجبن، ولم يهرب، و يتخلى عن ساحة الصراع، ولم يسكن، ولم يسكت، بل تابع تكليفه ورسالته الجهادية، بقامته المشوقة عنيدا...

ويفقد العملاء صوابهم، ومعهم أسيادهم، بعد أن يعزز الثقة لدى أبناء عاملة، فكيف الوسيلة لإسكات هذا العالم، الذي أصبح يهدد وجودهم، ويشكل خطرا كبيرا عليهم.وازداد هذا الخطر بعد استشهاد الشيخ راغب إذ كان يجمهر الناس ويذهب معهم لحضور الفاتحة، والأسبوع، غير مكترث بأحد.

يخرج السيد من القرية لفترة صغيرة، يذهب إلى بيروت ليقوم بمهامه في عمل خارج القرية، ظنوا أنها فرصة للتخلص منه وحين العودة منعوه وبقي ثلاثة أيام، وسعى إخوانه في عودته ففشلوا، عندها ذهب إلى

البقاع وجاء عبر مرجعيون، كان يعلم ما ينتظره في الصوانة، لكنه عاد أكثر عزماً وإصراراً وعناداً.

أرسل له الصهاينة عملاءهم ليبلغوه بالخروج من القرية وعدم العودة إليها إلا إنه رفض: «لن أغادر القرية، إنها أرضي وهنا منزلي ومسجدي». فيغضبون منه ويتوعدون ويهددون، إلا أنه ينظر إليهم بسخرية: «الموت لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة».

ويخاف أحباؤه عليه ويقولون له: يا سيد خفف شوي من حدة الحماس، سايرهم.

فيقول لهم: «قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، سنصمد في أرضنا إننا أصحاب حق، وليرحلوا هم عنها».

وردته أخبار مهاجمة العملاء خربة سلم مستهدفين رمز المقاومة فيها السيد عبد المحسن فضل الله، الذي تمسك بالبقاء فيها رغم إطلاق النار من الصوانة باتجاه الخربة، فقام السيد عبد اللطيف واستدعى أهالي الصوانة وقاموا بمظاهرة وأقفلوا الطريق التي تؤدي إلى الخربة.

الصلاة الأخيرة

رُفع آذان المغرب، كان السيد قد أنهى للتو وضوءه، وهو يتأمل الأفق البعيد، وهدير الطائرات المروحية لا ينقطع، فكّر: هل يظنون أننا نخافهم..

خرج السيد يختال بعباءته، وحطا يتبعه عدد من فلاحي القرية لأداء الصلاة المسجد، وأقام الصلاة بصوت خاشع حنون.

كان حسن يقف مع المصلين وراء السيد، وبعد انتهاء الصلاة يعود إلى المنزل ليروي لوالده العجوز إحساسه الغريب: يا والدي كانت صلاة السيد اليوم مميزة عن غيرها، وكإنها فيها عبق من الشهادة، فالسيد منذ أن رأى ذلك المنام أيقن بأن الله سيكرمه بالشهادة، وأصبحت لصلاته ترانيم خاصة تهيم بها الروح حتى تفيض على من هم بقربه، كان يشعر من يصلي معه بروحانية هذا السيد، وختم صلاته بطلب الشهادة.

الوالد العجوز: الشهادة يا بني وسام ما بيحصل عليها مين ما كان، وهي أفضل من الموت على الفراش، مين ما بيتمناها، بس يا ابني قلي جيت بكير اليوم. على غير العادة؟

الإبن: السيد كان مستعجل عنده عمل رسالي آخر عليه أن يؤديه فهو يسعى لبناء مسجد كان بعض أقاربه

قد قدم أرضا أوقفها لأجل هذا الأمر.

ويقطع الحديث سماع صوت رشاقات نارية فيقول العجوز: الله يستر شوفي وراء هالطلقات، أصبح لهم أسبوع عالحالة، وبنفس الوقت، المسألة مش نظيفة.

يوافق حسن والده الرأي ويقول:في نفس الوقت، ومع عودة الطيور إلى أعشاشها مع المغيب، وإسدال الليل أستاره لتطمئن النفوس وتسكن، و يأوي الأطفال إلى فراشهم ليغطوا بنوم عميق مع أحلامهم الوردية، يتسلل مع المغيب الشبح الجبان بطائراته ليخطف أحلام الأطفال قبل نومهم، وينزع الهدوء والسكينة من الأجواء، ويسير الرعب في النفوس.يقف في شمال البلدة وينهمر برشقات غزيرة اتجاه خربة سلم التي عجز عن الدخول إليها، إذ صمدت في وجهه بعد أن سقطت الأقنعة عن وجوه الأشباح، وعرّت وجوههم فبدت على حقيقتها، وكأنهم فزاعة عصافير.

العجوز: خلي السيد يبقى ينتبه.

حسن: السيد يا أبي لا يخاف، بعد أن أنهى صلاته واتجه إلى منزله غير آبه بهذه الاستعراضات الليلة وبخفافيش الظلام من حوله هو يعرف أنهم أصروا على مراقبة كل تحركاته، وكانت الطوافة الإسرائيلية تحلق في أجواء منطقة الصوانة وعلى علو منخفض.

وفي تلك الليلة لم يكن حال أطفال السيد عبد

اللطيف كغيرهم. فقد حلّ الليل ومعه الأسى والرعب، فمن عمق الليل الحالك الأسود، دوت عاصفة هوجاء لتحرق قلوبهم ومآقيهم:بالغدر اتسمت، بالظلم والعدوان، حقد بني صهيون انصب، حاملا معه نداء أم تستنجد، وأطفال يعدهم باليتم.

فبعد دخول منزله كعادته مستبشرا، وابتسامته تزين وجهه لتدخل الفرح إلى قلوب أطفاله، الذين ركضوا لاستقباله وتقبيله. وما هي إلا بضع دقائق حتى يسمع طرقا خفيفا على الباب وتليها عدة طرقات متتالية ، فقال السيد: خيرا إنشاء الله.

اتجه السيد نحو البيت، وعندما أحس الطارق بقدوم السيد وشروعه بفتحه، غدره، بوابل من رصاص رشاشات آلية على جسده الشريف، فأصابه بعدة طلقات في صدره وكتفه وأطرافه العليا.

فكانت كلمات الله أكبر أولى الكلمات التي أطلقها، الله أكبر، مزقوا عباءته، زرعوا الرصاص في جسده، فكانت أوسمة ونياشين زينت صدره، الله أكبر بقي صامدا، فتح الباب خرج منه، إنه أمر مروع أرهب الكلاب المسعورة، فظنوا أنه سيقع أرضا وينهار ويخاف من الموت..هرولوا القتلى مسرعين مذعورين لم يجرؤوا حتى على مواجهته وهربوا كخفافيش الظلام الله أكبر. تمتم بها، لكنه لم يستغث! ألا يتألم؟ ألم يربكه الجرح؟ مشى

نحو صالة الاستقبال، جلس والبسمة تعلو وجهه، ودمه نازف لا يتوقف. الحمد الله لقد تحقق الحلم وزفت إليه الشهادة، فها هو سينضم إلى قافلة الشهداء ليكون مع ركب الحسين، ويواسيه بجسده الممزق ملبيا نداء النصرة، في كربلاء الجنوب.

ونظر السيد إلى عائلته نظرات الوداع، وهو مخضبا بدمائه، مزهوا بجراحه، وتراءى له الحسين في كربلاء بوداعه الأخير، وهو يودع زينب، ويرمق زوجته بنظراته الأخيرة.فهمت ما يريد فهو يوصيها بالأطفال والعيال كزينب كفيلة أيتام الحسين.

كان العشرون من صفر غير بعيد، ولا تزال صورة أم المصائب مرسومة في الأذهان كما هي محفورة في القلوب.لقد صدق الإمام الخميني بمقولته إن كل ما عندنا هو من عاشوراء.

واستبشر السيد وسبح في بحر العشق، هادئا وادعا إلى لقاء الله فو سيرحل لجوار الأنبياء الصالحين، وهو يحمل جراحاته ورتبة الشهادة.

آه ما تفعل هذه الزوجة الثكلى، بجروح زوجها، ومن سيسكن روع الأطفال، فأهل القرية لم يحضروا بادئ الأمر ظنا منهم أن الأمر عادي وإن الصهاينة يثيرون الرعب كما فعلوا في الليالي الماضية، إلى أن خرج أولاده من الدار مذعورين فانتبه جاره إلى الصراخ، وهرول

مسرعا لنجد تهم، فأتى بسيارة لتقله إلى المستشفى إلى إن الإصابة كانت خطيرة.

وطبق الخبـر الآفـاق وهبت الجـمـوع المحبـة من كل حـدب وصـوب تنتظر مـا سيـحل بالسيـد الجـريح لقـد سـاهمت قـوات الطوارئ في تـأخيـر المسـاعـدة، فـهـا هي تضـيق على السـيـارة التي تقله.وفي النـهـايـة قـرروا المساعدة بعـد أن فقد الكثير من دمائه الطاهره، وضيقوا مـرة أخرى عندمـا منعـوا لجنة الأطبـاء اللبنانيين التي تبـرعت لخدمـة السيد وطبابته مـن القدوم إلى الناقورة، وضيقوا ثالثا على أهله.

ثلاثة أيام ما بين رشقات النيران المتقطعة التي جاءت مع المغـيب، وحـفـيف الملائكة التي انسـابت مع السـحـر لتعرج بروحـه إلى السماء، مـواسيا جـده الحسين بأيامـه الثلاثة عريانا على الثرى مرضوض الصدر.

ونام الشـهـيـد السـعـيـد قـرير العين على وسـادة الإطمـئنان عندمـا حقق هدفـه السـامي وقـام بتكليـفـه الإلهي لتـحـيـا أمـتـه حـيـاة العـز والإباء في ظل رعـاية العناية الإلهية.

وتحققت الأمنية وتحـول الحلم إلى حقيقة، لتلتحق روحـه الطيـبـة، بأرواح الشـهـداء، ولتـحل وتنعم في دار السلام بجوار الأمـير في النجف، بأوسمـة جهـاد رصعت صدره لتواسي صدر الحسين أبا الأحرار.

لم تختلف ظروف استشهاد الشهيد عبد اللطيف كثيرا عن شهادة الشيخ راغب حرب، شيخ المقاومة، الذي أزعج الاحتلال، فرأى أن الوسيلة الوحيدة التي يضمن بها سكوته ليكف عن تعبئة الجماهير ضدهم، هي قتله، فكان الأسلوب نفسه الذي اتبعوه مع السيد عبد اللطيف، الثائر الصامت، الغامض، العامل لإفشال المشاريع الإسرائيلية، وتعريتها وسلب الأقنعة عنها.

في تلك الأثناء كانت الدولة تجري مفاوضات مع الإسرائيليين فأخروا تسليم الجسد الطاهر نهار كامل في الناقورة حتى تنتهي الجلسة، وهذا الأمر زاد من صعوبة المفاوضات. خاصة وإن المفاوضات قوبلت برفض علمائي وغضب شعبي.

لقد سار على بركة الإسلام بعد أن نشر بذور الخير والمقاومة، لتحصد رايات النصر والتحرير، منضدة زهوا يفوح شذاها على مدى الزمان والمكان، أعطى الأرض دماء فأعطت الحياة.

ظنوا بقتل السيد سيخنقوا نهج الإمام الخميني، وسيقضون على إرادة الهمم التي استنهضت من ثباتها، وسيقطعون الألسن الناطقة بالحق، لم يعرفوا أن السيد عبد اللطيف زرع مع إخوانه بذرة الخير والحرية والعدالة، واجتمع مداد العلماء ودماء الشهداء ليروون هذه البذرة الطيبة، حتى أثمرت وجاء حصاد المقاومة

في موسم الحصاد، ٢٥ أيار عام ٢٠٠٠ ودحر اليهود وطهرت أرض الجنوب.

مداد العلماء ودماء الشهداء، يصنعان النصر، ويوقدان مشعل الحرية، فكيف إذا امتزجا واتحدا فكانت دماء العالم الشهيد صنو مداده.

شهداؤنا عظماؤنا، فكيف إذا كان الشهيد العظيم هو العالم، هو القربان، هو الفداء وكبش الأمة، من قدم النفس على مذبح الحرية.

هذا ما قدمه علماؤنا وقادتنا فجاهدوا بأنفسهم وأبنائهم وجادوا بالغالي والنفيس. لينالوا «ولن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون». وهبوا أنفسهم لله، وما خسرت تجارتهم.

فمن أمين عام قدم نفسه وزوجته وابنه من أجل أسمى هدف وقضية، إلى آخر قدم أبنه قربانا على مذبح الحرية، ومن علماء أججوا البراكين الثائرة على طريق الحرية، لتصبح صهيرا يحرق الغزاة بدمائهم النقية الطاهرة، ويكونوا نارا صالية للمحتل، فيمهدوا الطريق إلى حجارة الانتفاضة الثائرة لتطهير المقدسات، فغدوا قرابين فداء، وعربون وفاء.